بعض تداعيات الإسهام الروسي في الحرب على الإرهاب

■ حميدي العبدالله

ثمّة تداعيات كثيرة لخروج الجيش الروسي للمرة الأولى في التاريخ للقتال في شرق البحر الأبيض المتوسط وللمرة الثانية بعد التدخل السوفياتي في أفغانستان.

بديهي أنّ مساهمة روسيا في الحرب على الإرهاب بما تمتلكه من قدرات عسكرية، تبدأ بالسلاح النووي وتنتهي بالأسلحة التقليدية المتطورة التي تضاهي ما في حوزة الغرب وحلفائه من طائرات ودبابات وصواريخ ومدفعية وغرف تحكّم وقيادة، وبما لها من قدرات اقتصادية، ولا سيما على مستوى الاحتياط النقدي، وما تمتلكه من مكانة دولية لكونها عضواً دائماً في مجلس الأمن وتقود مجموعة الدول المستقلة، ودول مجموعة بريكس ومنظمة شانغهاي. إسهام روسيا في ضوء كلّ ذلك ستكون له تداعيات غير محصورة بالوضع الميداني في سورية، وتوازن القوى مع الجماعات الإرهابية ومن يقف وراءها ويدعمها.

ومن أبرز هذه التداعيات:

– خلق شروط وتوازن قوى يتيح فرصة جدية لتسريع الحسم العسكري ضدّ أقوى حلقات الحرب الإرهابية والتدخل الخارجي في سورية، ولا سيما في أرياف حلب وإدلب واللاذقية، الأمكنة التي استقطبت الغارات الكثيفة التي شنّها الطيران الروسي بالتعاون مع سلاح الجو السوري.

– إحباط وتثبيط همم الدول والجماعات الإرهابية المسلّحة، بعد اليأس من إمكانية تحقيق التقدّم أو حتى الاحتفاظ بالمواقع التي كانت تسيطر عليها، وما يترتب على ذلك من تزايد أعداد المسلحين السوريين الذين بادروا (ما جرى في درعا) أو سيبادرون إلى إلقاء السلاح وتسوية أوضاعهم.

– تبديد أيّ أحلام بإقامة مناطق آمنة أو مناطق حظر جوي، وهذا ما شدّد عليه نائب وزير الخارجية الروسية، إذ إنّ هذه الفكرة لا تزال تدغدغ مخيّلة الدول الأكثر اندفاعاً في الحرب على سورية، وهي فرنسا وتركيا، حيث أعاد الرئيسان التركي والفرنسي المطالبة بإقامة مناطق حظر جوي حتى بعد الإسهام الروسي في الحرب على الإرهاب في سورية.

– الحدّ، وحتى إلغاء أيّ تهديد يقوم به العدو الصهيوني باستهداف مواقع حيوية للجيش السوري، تحت أيّ ذريعة أو مسمّى، وبديهي أنّ جميع التدخلات العسكرية الصهيونية في السنوات الأربع الماضية كانت تحدث عندما ينجح الجيش السوري في توجيه ضربات قاتلة للمجموعات المسلحة، في محاولة منها للتأثير على التوازن الميداني لمصلحة الجماعات الإرهابية المسلحة.

– تغيير جذري في العلاقات الدولية والإقليمية، وخلق اصطفافات دولية وإقليمية غير تلك التي سادت بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي، وسيكون لهذه الاصطفافات تأثير جذري على العلاقات الدولية، وعلى طموح دول كثيرة تسعى إلى استقلال قرارها السيادي وإخراجه من تحت الوصاية الغربية.

استهداف موكب البغدادي وإحراج العالم

عملية استخبارية بامتياز تكللت بنجاح استهداف موكب زعيم تنظيم «داعش» أبو بكر البغدادي، أكدت أنّ هناك مخابرات تقاتل الإرهاب بجدية، وأنّ هناك فجراً جديداً يطلّ على هذه المنطقة.

غرفة عمليات مشتركة قوامها العراق وإيران وسورية وروسيا يبدو أنها وضعت أول إنجازاتها برسم العالم. القوات العراقية الجوية تنجح باقتناص فرصة مرور موكب البغدادي قادماً من سورية لحضور أحد اجتماعات التنظيم، فتستهدف موكبه، المحميّ بطبيعة الحال من دول واستخبارات الجوار، بعملية أمنية عالية المستوى تؤكد على حرفية العمل المشترك الجديد.

بغضّ النظر أولاً عن مقتل البغدادي، وبغضّ النظر عما يمكن أن تكون قد حصدته العملية من قادة التنظيم، إلا أنها بحدّ ذاتها تحمل دلالات وتداعيات عديدة، وهي رسالة متعددة الاتجاهات.

الحرفية ونجاح العملية تؤكد وجود عناصر جديدة في هذا الإطار، وحده العنصر الروسي الذي دخل بزخمه الكبير لقتال التنظيم وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين منذ أيام قد طالب قواته بجلب البغدادي حياً أو ميتاً إلى موسكو. بمعنى أنّ الجدية التي تعمل بها روسيا اليوم تبدو على أعلى المستويات.

لا مجال للمراوغة ولا مجال إلا لإثبات تحدٍّ حقيقي فرضه الدخول الروسي إلى المنطقة، وليس في وارد روسيا التفريط فيه، لأنها جاءت لتنتصر، وبالتالي لا يمكن اعتبار التنسيق بين الأجهزة الأمنية الحليفة لها إلا أحد تجليات هذا الإصرار والتصميم على النجاح.

يسجل للجيش العراقي القدرة على الاستهداف المباشر ونجاح العملية بطبيعة الحال، وهي عملية أيضاً تؤكد رغبة التعاون العراقية مع روسيا وما كانت قد طالبت به أيضاً من تدخل مباشر، لكنها تشير إلى التعاون الهامّ الذي أثبت نجاحه بعكس الفشل الذي أظهرته قوات التحالف الدولية من تحقيق أيّ تقدّم ملموس، فخلال ما يُقارب 10 أيام من العمليات الروسية حققت روسيا تدميراً هائلاً في البنى التحتية، وحصدت عدداً لا يُستهان به من القتلى بصفوف القادة والعناصر بحساب أيامها القليلة التي إنْ أكدت شيئاً فسيكون الدقة والجدية.

يدخل تنظيم «داعش» اليوم مرحلة من القلق التي بلا شك ستثمر في صفوفه موجة من الفرار من الضربات الروسية أو من الحلف الروسي الجديد، إذا صحّ التعبير، فالتنظيم بات مستهدفاً وبإحكام على كلّ من الأراضي السورية والروسية، وبهذه العملية يثبت لعناصره أن لا أحد محميّ بعد اليوم ولا مظلات لا تخرق بدون تفاهمات وتسويات، فها هو البغدادي يُستهدف بعملية تشير إلى فشل حمايته.

عدّ تنازلي معنوي سيقع فيه التنظيم وحلفاؤه، وإرباك كبير سيؤثر على المعارك بطبيعة الحال، حتى لو تمّ تعيين بديل عن البغدادي بحال تأكد مقتله، أو بديل إلى حين تماثله للشفاء، أو حتى في حال نجاته من العملية، لأنّ تأثيرها المعنوي أكبر من نتائجها التي وإنْ قتل فيها البغدادي فإنّها لن تعني توقف التنظيم عن الإرهاب لهذا السبب، فإنّ رسالة العملية الأكبر تتجسّد بالأهمّ وهو النجاح بخرق الحماية التركية الخليجية التي تتأمّن لمواكب كهذه، وبالتالي استعار الحرب الاستخبارية بين الحلف الروسي والحلف التركي الخليجي بامتياز.

أما روسيا التي أعطت مواقيت ومواعيد للقضاء على الإرهاب ستستقطب تعاطفاً دولياً بنجاح عمليات كهذه وتواليها، مساهمة بإحراج العالم ووضعه أمام يقين التخاذل الأميركي بمكافحة الإرهاب والجدية التي فقدتها، والتي لم تكن لتمرّ لولا إصرار روسي سوري إيراني عليها، لأنّ التقارير الأمنية منذ خمس سنوات حتى الساعة أكدت مراراً أنّ واشنطن لم تكن تريد القضاء على الإرهاب بل تريد فقط تقليم أظافره والاستمرار في استثماره...

التحالف الروسي يتقدّم والأيام القليلة المقبلة، وربما قبل نهاية العام الحالي، كما وعد بوتين، سيكون الشرق الأوسط أمام واقع أمني جديد بحروف روسية.

«توب نيوز»

«جبهة النصرة»

– منذ ولادة «داعش» لم يبق زخم الولادة وشروطها وطريقة سقوط ثلث العراق بين يديه أيّ شك بوجود دعم تركي برضى أميركي أوروبي.

– ثبت أنّ التعامل الأميركي مع «داعش» بتصوير الخطر والقدرات والحديث عن حرب سنوات وحرب لا تحسم وأخطر الحروب التي واجهتها البشرية كانت حرباً نفسية لحساب «داعش» بامتياز.

– طريقة الحرب الأميركية جوياً في عين العرب وأربيل قياساً بباقي المناطق، قالت ما تأكد بتسريبه أنّ واشنطن لا تريد قتال «داعش» وإنهاء وجود التنظيم، بل إدارة خطره وتوظيفه ضدّ خصومها.

– رفض واشنطن المدركة أهمية القوات البرية في الحرب أن تتعاون مع أيّ قوى تملك هذه القوات، كان يزيد الوضوح بأولوية عداء واشنطن لهذه القوى على العداء لـ«داعش» ورغبة التخلص منه.

– ما تريده واشنطن إنضاج قبول دولي بـ«جبهة النصرة» شريكاً في سورية للبدء بضرب «داعش».

– فرضت روسيا بعشرة أيام حرب إضافة «النصرة» لـ«داعش» كهدف دولي للحرب.

– أثبتت روسيا أنّ النصر ممكن بشهور لا بسنوات.

– «النصرة» ولد أميركا وحلفائها المدلل انتهى.

– «داعش» فزاعة بحالة فزع قرب النهاية.

التعليق السياسي

افتحوا الطريق... الجنرال ميشال عون هو رئيس جمهوريتنا المنتظر

■ د. سلوى خليل الأمين*

إنّ تظاهرة الأمس الحاشدة التي دعا إليها التيار الوطني الحر في محيط القصر الجمهوري، بمناسبة ذكرى 13 تشرين الأول التي كانت من أصعب المراحل المأساوية التي مرّت على التيار الوطني الحر، لأنها انتهت بعديد من الشهداء وبخروج الجنرال ميشال عون من قصر بعبدا إلى فرنسا، بقرار إقليمي ودولي، يجهل حيثيات اتخاذه وتوقيته، الكثيرون ممن لا يتقنون الخوض في مسارات لعبة الأمم، التي تتحكم خيوطها بكلّ شاردة وواردة في عالمنا العربي، كانت بالفعل صورة حقيقية لحجم التأييد الشعبي والحزبي للتيار وقائده الجنرال ميشال عون الذي لا يمكن لأحد تجاهله محلياً وإقليمياً ودولياً أيضاً.

لكن بالرغم من تجاهل العديد من أركان السلطة السياسية في لبنان لهذا الحجم السياسي الضخم الذي يمثله الجنرال عون، الذي يتزايد صعداً، فإنهم لا يقرّون بخسارتهم المعركة التنافسية مع هذا القائد الشعبي الذي استطاع، بالرغم من إبعاده عن وطنه لبنان إلى باريس لفترة امتدّت 15 سنة، إلا أنه استطاع استقطاب كلّ شرائح المجتمع اللبناني بمختلف طبقاتهم وتنوّعاتهم ومناطقهم وعقائدهم الدينية المختلفة للتمترس حوله، وحول شعاراته الوطنية، وعناوينه السياسية التي يعتبرها كلّ مواطن لبناني درب الخلاص.

فكلما عملوا على حشره في زواياهم المربكة أصلاً، باتخاذ القرارات الهمايونية، كلما عملوا دون أيّ احتساب عقلي إلى زيادة مناصريه وداعميه والمؤمنين بخط سيره السويّ، لهذا فشلوا أمام داعميهم من الخارج والداخل بإحباطه وحشره في زوايا النسيان، وأظهروا ضعفهم الذي لا يتوازن مع خطابهم التصعيدي الدائم، الذي يفبرك البيانات والخطابات السيئة التي يعرفها الجمهور اللبناني حق المعرفة، وأكبر دليل حركة الحراك الشبابي التي انفجرت في ليلة غفلة، وفضحت فسادهم وإفسادهم الذي ظنّوه مغطى بضبابية عقولهم المهترئة من قصر النظر.

عدا عن كلّ المستجدات الداخلية والخارجية التي تصبّ حالياً في صالح الحالة العونية والمقاومة، نجد أنّ خربطات كلّ من يناصب الجنرال عون العداء، ويعمل على إفشاله ومنعه من الوصول إلى كرسي رئاسة الجمهورية في بعبدا، سوف تحل عليه لعنة الأنصار الدوليين والإقليميين، الذين أتخموهم بالبيانات الكاذبة التي باءت لتاريخه بالفشل الذريع، أمام المستجدات الدولية والإقليمية، فهم فشلوا حتى اليوم في تثبيت مواقعهم التي تبدو مهترئة ومهزوزة على الدروب المستقبلية الآمنة، لأنهم لم يتقنوا الولوج بعقلانية في مدارات لعبة الأمم، وفهم مراميها ودراسة أبعادها، التي غيّرتها قوة سورية في الصمود والتصدّي، كما غيّرتها المقاومة على الأرض اللبنانية ضدّ العدو الصهيوني، كما أنّ الدسائس والمؤامرات التي أحسنوا التدرّب عليها من أجل هزيمة جنرال الرابية الصلب في مواقفه، والقائد العسكري الوطني المحنك في رسم الخطط لم تؤت ثمارها، لأنّ الجنرال لم يتخذ أسلوب البيع والشراء في سوق النخاسة هدفاً سياسيا له كما فعلوا، لدرجة أنهم أصبحوا عبيد المال والدراهم، التي جفت ينابيعها في هذه الأيام، بسبب غرق المصدر المموّل في حرب اليمن، التي باتت القشة التي قصمت ظهر البعير، بسبب إغلاق حنفية الذهب التي كانت تدرّ عليهم النصر، عبر استقطاب المناصرين والمحازبين الذين تعوّدوا شراء ضمائرهم، وباتوا اليوم يئنّون من فرط السيحة، التي سيتسلّمها الأقوى لبنانياً ووطنياً في المستقبل القريب شاء من شاء وأبى من أبى...

إنّ قرار تولي الجنرال ميشال عون رئاسة الجمهورية قد تمّ الاتفاق عليه منذ أكثر من عام بين الأقطاب العالميين، الذين يديرون اللعبة في عالمنا العربي، بدءاً من العراق فالبحرين وصولاًإلى سورية ولبنان، وحاليا اليمن «السعيد». كما الاتفاق على التعاون مع الرئيس بشار الأسد في ضرب الإرهاب في سورية والاحتكام إلى قرار الشعب السوري في اختيار رئيسه. هذه القرارات التي اتخذت في دوائر القرار العالمية، وتظهر حالياً على الساحة العربية عبر المشاركة الروسية في القضاء على «داعش» والمنظمات الإرهابية في سورية والعراق، ليست وليدة الساعة، وليست قرارات همايونية، كما يعتقد البعض من حكام العرب ومن يمثلهم ومن المحليين الذين يتشاطرون في فك الرموز التي تبعث إليهم من أجل إلهائهم عن المهمّ من القرارات المتخذة عالمياً وبسرية تامة، لأنّ القطبين العالميين وأعني روسيا، التي فرضت قطبيتها عالمياً، وباتت رقماً موازياً للقطب الأميركي الأوحد، أصبحت شريكة في القرار الذي اتخذ في دوائر البنتاغون الأميركي، الحاكم الفعلي للولايات المتحدة الأميركية. هذا القرار الذي لن يعود بالحالة القائمة إلى الوراء، ومن يتابع مجريات الأمور في الاجتماعات التي كانت تحدث بين الرئيس باراك أوباما وجنرالاته الأقوياء في السرّ والعلانية، وتصريحاتهم التي تصدر تباعاً بصيغ مختلفة، منها ما هو مؤيد ومنها ما هو ملتبس، يدرك مدى التراجع الأميركي عن ضرب الأقوياء في لبنان وسورية، الذين عرفوا أهمية المصالحة مع جمهورهم، وأعني الشعب الذي يمثلونه ويحملون همومه ومتاعبه، بحيث في النهاية لا تستطيع السلطة الأميركية تجاهل طموحات الشعوب في العيش الكريم والسيادة المطلقة على أوطانها، دون حسيب أو رقيب، والذي هو قانون معتمد في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

وبما انّ الرئيس باراك أوباما قد اتخذ القرار الصلب بعد الهزائم المتكرّرة التي مُنيت بها الولايات المتحدة الأميركية في الخارج، بدءاً من أفغانستان والعراق وصولاً إلى دول الربيع العربي، حيث فشل الرهان على تولي «الإخوان المسلمين» السلطة في مصر وتونس، بعد تبنّيهم في المرحلة الأولى من قبل السلطة الأميركية التي تغاضت أو عملت على خلع الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس التونسي زين العابدين بن علي، ومن ثم بدأت بتنفيذ المؤامرة على سورية، ونشر ودعم العصابات الإرهابية التي أغرقتها في مستنقع الدم ومن ثم قضية اللاجئين السوريين والعراقيين وتسللهم إلى أوروبا، وأيضاً فشل الرهان على تنحّي أو إسقاط الرئيس بشار الأسد، الذي صمد بصلابة مع جيشه العقائدي وشعبه في مواجهة المؤامرة الكونية الشرسة، إضافة إلى غرق حليفتهم المملكة العربية السعودية في البحرين أولاً، ومن ثم في اليمن، أضف إلى ذلك بروز القطب الروسي وفيتواته في مجلس الأمن، ودعم دول بريكس وإيران بقوة لسورية والعراق والمقاومة وحزب الله في لبنان وغزة، أجبر الرئيس الأميركي باراك أوباما ومن خلفه الإدارة الأميركية وعلى رأسها البنتاغون والكونغرس إلى تغيير مجرى سياستهم البراغماتية بالإقرار بفشلهم وفشل حلفائهم في محاربة الإرهاب وعصاباته، ومن ثم بإسقاط الرئيس بشار الأسد، لهذا تمّ إقرار التوجه إلى الحلّ السياسي الذي كشفه وزير الخارجية الأميركية جون كيري بالقول: «إنّ مشاركة روسيا وإيران في حلّ الصراع في سورية يشكل خطوة عسكرية متقدّمة لروسيا في المنطقة»، إضافة إلى ما أكده السفير الأميركي السابق في سورية روبرت فورد الذي أعلن استقالته من منصبه بسبب كونه قد وصل إلى نقطة جامدة لا تمكنه من الدفاع عن سياسة بلاده المتعلقة بالأزمة في سورية.

إنّ مبدأ القوة اليوم المتمثل بصمود سورية والمقاومة والجنرال ميشال عون هو اللعبة الأقوى التي تجبر أميركا البراغماتية على التفتيش عن مصالحها، فمبقدار ما تكون الشعوب والقيادات قوية وثابتة على مبادئها وقيمها بقدر استطاعتها الحصول على الفوز المحتم، لهذا لا بدّ من فتح الطريق إلى قصر بعبدا للجنرال ميشال عون من قبل الجميع في لبنان، قبل الفشل الذي سيحلّ على المعترضين ودفعهم إلى استجداء الصفح، لأنّ القرار اتخذ بأنّ الجنرال ميشال عون هو الرئيس الأقوى للجمهورية اللبنانية، وهو الوحيد القادر على عقد التحالفات الوطنية والدولية والإقليمية من مبدأ الندّية، وليس من مبدأ العمالة والخضوع والإذعان، وأميركا بدأت تفتش عن الأقوياء... وإنّ غداً لناظره قريب.

* رئيسة ديوان أهل القلم

هل نقرأ النجوم؟ أو ما بين السطور؟

■ شهناز صبحي فاكوش

ما الذي يحدث في العالم؟ هل اختلطت الأوراق؟ هل على المرء أن يتعلم قراءة النجوم... أم لا بدّ أن يكون على درجة عالية من الفطنة ليقرأ ما بين السطور؟

من هي المعارضة السورية؟ من هي «المعارضة المعتدلة»؟ كيف يمكن قراءتها... ما هو مفعول الحضور الروسي الحليف في سورية؟ كيف هو التحالف الأميركي الوهابي؟ لماذا تصعّد «إسرائيل» شراستها في الداخل الفلسطيني؟

كيف نفرّق بين الصهيوني العربي المندسّ بيننا، والواضح على عرشه، وبين الصهيوني المحتلّ، والمعتدي على الضفة والقطاع؟ كيف يعيش اليهودي التناقضات داخل فلسطين المحتلة، وهل ما يحدث في القدس يهتمّ له حكام العرب والمسلمون؟

هل ظهرت آثار النفاق العربي والقيادات العربية المزيّفة، وهل حقاً يريد العرب حلّ الأزمة السورية؟ أميركا هل يعنيها استقرار سورية؟ ولماذا السعي إلى لبننة سورية أو صوملتها؟ هل يهتمّ الغرب بالهدوء والأمان ليعودا للوطن العربي وخلاصه؟

ما مبرّر قلق السعودية من الغارات الروسية السورية على «داعش»، ولِمَ يقضّ مضجعها تمسك السوريين برئيسهم بشار الأسد، ولِمَ تشهر عداءها له أمام الرئيس بوتين، الذي يعلن بأنّ هذا شأناً سورياً، ويهمّ السوريين وحدهم.

لماذا تستشري السعودية في إغراق اليمن بالخراب والدمار...؟ هل لتثبت وجودها لأنّ دورها الوظيفي بدأ ينتهي، بعد فشلها مع «داعش» في إسقاط سورية الدولة. أم لإلهاء الرأي العام، واستقطاب الإعلام بعيداً عن تهويد القدس والأراضي الفلسطينية.

هل التنسيق السوري الروسي العراقي الإيراني يغيظ أميركا وحلفاءها وعملاءها في المنطقة، ويقلق «إسرائيل»؟ هل يمكن إعادة تفعيل غرفة موك في الأردن؟ وماذا يمكن أن تفعل خلية الصقور العراقية، بعد استهداف موكب البغدادي، ومقتل كثير من القياديين.

أسئلة كثيرة مشروعة، لا تزال تجول في ذهن المواطن في سورية، وحتى العربي، من ابتعد عن الارتهان للغرب، وبقي صامداً على أرضه. ألا نحتاج إلى عمل كبير للخلاص من الإرهاب، في سورية والمنطقة، وهي الوحيدة التي تواجهه.

هل تكفي الضربات الموجعة لـ«داعش» في سورية، هل بدأت «داعش» تفقد السيطرة على جماعاتها... كم يمكن أن يؤثر قتل قياديين لـ«داعش» في العراق، من قبل خلية الصقور التي تتبع للداخلية العراقية، على خلخلة صفوف عناصره.

كيف يمكن الإجابة عن كلّ هذه التساؤلات؟ من أين يمكن البدء؟ هل أضاع العرب بوصلتهم؟ هل سيبقى العقل العربي في نزهة وهل ستطول نزهته هذه؟

الصمود السوري لخمس سنوات، كيف أعان إيران لإنهاء عوالق ملفها النووي، وجعلها دولة يحسب حسابها إقليمياً، وعالمياً، والإقرار الأميركي بفشل سياساته في الحصار الاقتصادي عليها، بعد فشله على كوبا لخمسين عاماً؟

كيف أعطى الصمود السوري؛ روسيا الثقة بنفسها، لتدخل في ثلاثة فيتوات مع الصين لصالح سورية، لتكون أولى الخطوات الواضحة نحو استعادة ملء الفراغ الذي حصل بانهيار الاتحاد السوفياتي، والإقرار بأنها دولة عظمى، وإعلان نهاية القطب الواحد؟

الصمود السوري عرّى السياسة الأردوغانية وأسقط عنها ورقة التوت، هل الفشل في المنطقة العازلة هو سبب نقمته على شعبه، بعد فشله في إغراق عين العرب السورية، بالحريق الذي أشعله، ما جعل المعارضة التركية تقف في وجهه بقوة؟

هل مشاركة المقاومة اللبنانية للجيش العربي السوري تكفي لتعزيز قوته، أم سورية بحاجة لجهود الشرفاء، وخبرة الأصدقاء، ومساعدة الحلفاء عسكرياً، للقضاء على الإرهاب، والوصول إلى الحل السياسي بمساندة الأوفياء؟

الصمود السوري وحده منح أبناء المنطقة وأصدقاءها القوة، وهو الذي يرسم أسباب النصر الآتي، صمود أسطوري، علّم كلّ من تعاطى مع سورية أنّ الصبر والصمود هما أصل الانتصار، لسنا بحاجة إلى تعلّم قراءة النجوم... ولن نضرب بالرمل...

فقط علينا التفكير والتركيز؛ وقراءة ما بين السطور لكشف أسرار المؤامرة، وهذا ما أكده الرئيس بشار الأسد منذ بداية الأزمة السورية، حين كشف أنّ مؤامرة تستهدف سورية الوطن، وما علينا إلا التماسك والصمود للحفاظ على بلادنا.

في كوامن كلّ سؤال مشروع جواب شاف وأكثر. ما دامت فلسطين هي البوصلة لسورية؛ كان لابدّ لها من دفع الثمن، لأجل أمن «إسرائيل»، ما دامت تقول لا، ولا ترتهن لأحد، لا بدّ من النيل منها، وذلك ليس بجديد.

منذ لجنة بيكر-هاملتون... بعد فشل كيسنجر بربط سورية بأشباه «كامب دايفيد»، و«أوسلو» و«وادي عربة»، كان لا بدّ من إضعاف سورية، بعد احتلال العراق وتفكيكه، وانقطاع الطريق على المحتلّ، باتجاه سورية، كان لابدّ من ضرب سورية، لن تأمن «إسرائيل» إلا بذلك.

لكن أوراقهم اختلطت، وحساباتهم أخطأت، ورهاناتهم خسرت. الصمود الأسطوري السوري أوقعهم في شرّ أعمالهم، صمود لأكثر من عامين لوحدها ولم تُغلب. أعانتها بعدها المقاومة كما فعلت هي لها قبلاً، فازدادت صموداً.

حين أدرك الأصدقاء، أنها ستظلّ صامدة مهما غلت التضحيات، وأنّ قوة الجيش فيها وإرادة الشعب أفشلت كلّ المؤامرات، والشهيد فيها يقضي واقفاً كأشجارها، وقفوا إلى جانبها، فهي تستحق البقاء كما عاشت دائماً، واحدة في أرضها وشعبها وجيشها.

رغم أنف الغزاة ومن وراءهم، رغم أنف العملاء برخص أثمانهم، رغم التغريب والتهجير والقتل والتنكيل، باقية هي، ولن تنسى، ثأرها في قلبها، صامدة هي لتبني مستقبلها، كما بنت حاضرها المستهدف. لكن الألم علّمها كيف تحافظ عليه.

قالها الرئيس بشار الأسد مرة، ونكرّرها معه دائماً... ثمن الصمود مهما عظُمَ، يظلّ أقلّ كلفة من ثمن التخاذل، ففي الصمود عزٌ وفخارٌ ونصر...

لله درك من رجل... هل أدرك العالم لماذا يحبك شعبك ويتمسك بك؟ لكنك لن تسمع من ماتت منهم القلوب، وتبلّدت العقول، أما الواعون فلن تهون عليهم سورية ولا هم يهونون.

إسقاط «نظام الرئيس اردوغان» وإلا إسقاط تركيا...!

■ سومر صالح

مع بداية الأحداث في سورية مطلع العام 2011 كانت الرؤية الروسية تنطلق من فرضية مفادها أنّ الحلف الأطلسي يريد الإطباق على روسيا الاتحادية وتطويقها كلياً، بل وعزلها عن محيطها الشرق أوسطي والأوروبي ايضاً، عبر حرمانها من حليفتها سورية آخر قواعدها المتاحة على البحر المتوسط، وكسر السيطرة الروسية لإمدادات الطاقة الأوروبية، واستنزاف القوة الإيرانية، وكانت الأداة الأردوغانية ومشروعها الإخواني حاضرة وبقوة كرأس حربة لسياسات الحلف في الشرق الأوسط وجمهوريات وسط آسيا، عبر تحويل تركيا إلى قاعدة تجميع وتدريب وإسناد كلّ إرهابيّي العالم لتنفيذ أجندات الحلف الأطلسي بتفتيت جغرافيات الشرق الأوسط، على أسس مذهبية تفضي بنهاية المطاف إلى جعل «إسرائيل - الدولة اليهودية حالة طبيعية ضمن جغرافيات طائفية»، وتمنع الاتصال الجغرافي بين إيران والعراق وسورية، بعد إسقاط سورية والعراق، وتستنزف كل الطاقات المعادية للسياسات الأميركية بصراعات مذهبية جانبية، وعلى رأس المستهدفين «حزب الله»، في مقابل تحويل تركيا إلى عقدة غاز تجمع إمدادات الطاقة من وسط آسيا والخليج العربي باتجاه أوروبا.

ولكن مع بداية العام الرابع للأزمة السورية وخصوصاً بعد أزمة القرم بدأت المقاربة الروسية للأزمة السورية تتغيّر وتبلورت معها رؤية روسية جديدة لحقيقة الموقف الأطلسي وجوهر مشروعه ضدّ روسيا وأنّ الأمور انتقلت من مجرد التطويق وفرض العزلة إلى التفتيت وضرب الاستقرار عبر استخدام الأداة الأردوغانية ذاتها واستنساخ التجربة الإرهابية في سورية، في جغرافية الاتحاد الروسي، وأنّ دولاً أخرى كالصين أو الهند لن تكون بمنأى عن نقل التجربة الإرهابية ذاتها، وبالتالي ضرب نواة المحور الأوراسي الآخذ بالتبلور مؤخراً، وعلى مدى أربع سنوات ونصف السنة فشلت روسيا وحلفاؤها الإيرانيون والصينيون في احتواء تركيا اقتصادياً لتغيير سياستها في سورية، على قاعدة أنّ المنفعة الاقتصادية للتعاون مع روسيا هي أكبر من تكلفة الحرب الاقتصادية عليها، ومن هنا جاء إلغاء خط السيل الجنوبي في مقابل الإعلان عن خط السيل التركي كتعويض عن خط الغاز الخليجي، ولكن السياسة الأردوغانية ازدادت تشدّداً وتدميراً في سورية وأجهضت كلّ الجهود الدولية والثنائية الأميركية والروسية لإيجاد تسويات مقبولة للأزمة السورية، فجنون العظمة لدى رئيس النظام التركي أفقده البصيرة والقراءة المتأنية للأحداث السياسية، فالدخول العسكري الروسي إلى القرم كان تحوّلاً في السياسة الخارجية الروسية حمل معه رسائل إلى الحلف الأطلسي لم تدركها تركيا، مفادها أن لا حدود أو قيود أمام استخدام القوة العسكرية في ضمان الأمن القومي الروسي، وأمام احتمالات العدوان الغربي على سورية وفرض منطقة عازلة في الشمال السوري تكون مدخلاً لعدوان تركي بري على الأراضي السورية شكل فتح قاعدة «انجرليك» الجوية أمام المقاتلات الأميركية بدايتها، جاء القرار الروسي بالدخول المباشر في صلب المعركة في سورية، لأنّ العدوان الفرنسي على السيادة السورية بذريعة محاربة «داعش» لم يترك للقيادة الروسية أدنى شك بحقيقة المواقف الغربية وكذب ادّعاءاتهم بمحاربة «داعش» من جهة وعقائدية التوجه التركي وإيديولوجيته الإخوانية ضدّ روسيا من جهة أخرى... هذا الدخول الروسي أتى بعد ثلاثة أيام فقط من الدخول الفرنسي هو من حيث الشكل مهمة إسناد جوي للقوات المسلحة السورية، ولكنه في الجوهر يحمل أبعاداً ومضامين تتجاوز الطابع الآني الظرفي لمحاربة الإرهاب في سورية والعراق، فاختيار القاعدة الجوية على مقربة من الحدود التركية يحمل رسائل إلى تركيا، وغالبية الضربات الجوية هي في الجزء الشمالي من سورية شمال مدينة حمص مما يؤكد الدلالة أيضاً، فالدخول العسكري الروسي هو لكسر التدخل التركي وإسقاط حلم أردوغان بمنطقة الحظر الجوي الذي أراد الاميركان والفرنسيون فرضه في الشمال السوري بحكم الأمر الواقع ميدانياً...

ومنذ اللحظات الأولى للدخول الروسي بتاريخ 2015/9/30 ازداد ضجيج أردوغان الإعلامي في محاولة استنفار حلف الأطلسي لحمايته على وقع الصدمة التي لم يستوعبها في الأيام الأولى للضربات الجوية الروسية، ولكن ما لبث أن أدركها وأدرك معها نهايته لأنّ القيادة الروسية اتخذت قراراً بضرب الإرهاب وإغلاق الحدود الشمالية لسورية أمام تدفق الإرهاب الوافد من تركيا، مما يشكل مأزقاً لأردوغان بوجهين أولهما إغلاق الحدود بوجه «داعش» والتنظيمات الإرهابية سينقلب حرباً داعشية على نظام أردوغان ذاته من داخل تركيا، وعدم إغلاقها من الجانب التركي سيعني انحدار الإرهاب إلى قواعده في تركيا وبالنتيجة سيتفشى الإرهاب في تركيا... وبخلاف تركيا أدرك الحلف الأطلسي سريعاً حقيقة الموقف الروسي وجهوزيته التامة لتطورات الحرب المحتملة بما فيها حدوث اشتباك جوي مع مقاتلات تركية، حيث أرسلت روسيا رسائل صاروخية لها دلالتان، الأولى تؤكد أنّ هذا السلاح جاهز للإطباق على العدو وتدميره على كامل الجغرافيا في الشرق الأوسط، والثانية أنّ التصعيد يقابله التصعيد، فكلما ازداد عداء تركيا ودول الخليج ستزداد الفاعلية العسكرية على الأرض، فكان القرار الأطلسي بالتريّث والدراسة والتأني قبل اتخاذ أيّ إجراء على الأرض...

بالنتيجة شكل الدخول الروسي المباشر في الميدان الروسي بتاريخ 2015/9/30 ورسائل الصواريخ المجنحة «كروز كاليبر» حدثاً بالغ التأثير ليس فقط في مجريات المعارك في الميدان السوري بل في مستقبل تركيا الدور والنفوذ، حيث باتت تركيا محاطة بالقوة العسكرية الروسية من الشمال في البحر الأسود وفي الجنوب بتواجدها العسكري في سورية وربما العراق، ومن البحر من الجهة الجنوبية المتوسطية بالسفن الحربية المتواجدة في قاعدة الإسناد على البحر المتوسط وسواحل قبرص اليونانية، إضافة إلى أنّ حدودها الشرقية محاطة ببيئة معقدة من جهة إيران وأرمينيا، وبالتالي على النظام الأردوغاني إعادة حساباته جيداً في سورية وقراءة الحدثين السوري وقبله شبه جزيرة القرم بعقلية واقعية، فالقيادة الروسية ما زالت تملك أوراقاً يمكن معها إخضاع تركيا عسكرياً بدون مواجهة عسكرية مباشرة معها، ولكنها تتجنّب الدخول في صراع مباشر مع الحلف الأطلسي، وهنا علينا التأمّل قليلاً في السياسة الروسية تجاه اليونان ومنحها قروضاً مالية عالية وتسهيلات اقتصادية، فأيّ تصعيد لسياسة الحلف الأطلسي في سورية أو دول البلطيق سيقابله تصعيد في وتيرة العلاقات الروسية اليونانية، وقد نشهد معها خروجاً لليونان من الاتحاد الأوروبي في مقابل امتيازات اقتصادية وعسكرية لليونان في مواجهة تركيا، وهنا علينا التوقف كثيراً أمام اعتراض مقاتلات يونانية لطائرات تركية فوق بحر إيجه المتنازع عليه مع تركيا، حينها ستصبح الصورة قاتمة بالنسبة للحلف الأطلسي إذا ما دخل الأسطول الحربي الروسي بحر ايجه وتمركز به، في كسر واضح لكل قواعد الاشتباك والتوازن القائمة بين الحلف وروسيا، لأنها بذلك ستخرج أكبر رقعة جغرافية وبشرية أطلسية في مواجهة روسيا من الحسابات العسكرية، لذلك ليس من مصلحة الحلف التصعيد في سورية أو حدود روسيا الشرقية بخلاف الادّعاءات البريطانية، بالتالي الحلف الأطلسي في ورطة أدخله بها حمق السياسة الأردوغانية.

فالتمسك بنظام أردوغان يعني السير قدماً في استراتيجية الدخول العسكري الروسي في بحر ايجه، وهذا يعني إسقاط تركيا بكاملها بدون مواجهة عسكرية مباشرة عبر شلّ كامل قدرتها العسكرية وليس إسقاط اردوغان بذاته فقط، وهذا أمر لن تسمح به الولايات المتحدة ومن خلفها الحلف الأطلسي، والقيادة الروسية ليس من مصلحتها الآن الدخول في بحر ايجه، وبالتالي الدخول في مواجهة مفتوحة مع الحلف إلا من باب الدفاع عن النفس في مواجهة سياسات الحلف في سورية أو في حدود روسيا الغربية، لذلك أمام رجب طيب أردوغان ثلاثة خيارات أولها الإصرار على التعنّت الذي يمارسه ويقابله في ذلك سيناريو إسقاطه من قبل حلفائه الأطلسيين بحكم الضرورة والمجيء بنظام سياسي جديد يراعي المصالح الروسية في الشرق الأوسط ويبقي تركيا في الحظيرة الأطلسية للولايات المتحدة الأميركية، أو الرضوخ للقوة العسكرية الروسية والعدول عن مشروعه الإخواني، وبالتالي عليه الاستعداد لمواجهة «داعش» على أرضه، والخيار الثالث الاستقالة وترك السلطة لقيادات تركية جديدة تخرج البلاد من مأزقها، فأيّ مصير ينتظر الطاغية أردوغان...؟

من قزوين... إلى أين؟

■ لؤي خليل

منذ بداية الأزمة السورية والحرب اللامتوازنة لا من حيث الأدوات ولا الضخّ الإعلامي او حتى في الضخ البشري الوهابي الإرهابي من كافة أصقاع الدنيا. تبدّلت اوجه الحرب وتناثرت قذائف الحقد الطائفي الإعلامي خليجياً وغربياً، وحدهم اختلقوا حرباً قبل ان تبدأ على الأرض، ابتدعوا ربيعا أزهر فراخاً وهابية لا تعرف سوى لغة الموت، ظنوا انّ مصطلحاتهم والحرب التي ستخرق جدار الحلف المساوم ستبث سمومها في الجسد العربي قاسمة ظهر كلّ دول الحلف المقاوم. وحدهم كانوا يخترعون المعارك ويصنفون انتصاراتهم وفقط إعلامياً حتى كاد القريب والبعيد يعتقد انّ سورية لم تعد موجودة على الخارطة، ولم يعد هناك ايّ أثر للجيش العربي السوري! هذه الكذبة أصبحت لديهم كمن تكلم بها وصدّقها وعمل بها. وحدهم الحلفاء كان لديهم الواقع وحوّلوا النصر الى واقع، حتى التأخر في منطقة أو مناطق كان واقعاً معترفاً به، ولكن كلّ هذا وذاك كان تحت المجهر الروسي وبداية رؤيته العملية كانت بإسقاط صواريخ الكروز الأميركية في زمن انتزاع الأسلحة الكيماوية السورية.

ذهل الأميركي ووقف الأوروبي غير مصدق، فاختلقوا الأزمة الأوكرانية والعقوبات الاقتصادية، ظنوا انّ الخيال الإعلامي والضيق الاقتصادي والمخاوف الأمنية الروسية ستنهك الكرملين وتقزّم تحركاته ليعيد حساباته وينكمش من جديد داخل شواطئ بحر قزوين. فالغرب المتبدّل كمسؤوليه نسي أنه في خريف السياسة والاستراتيجية، والدفع الروسي منذ حرب تموز والدعم اللامحدود للحلف المقاوم، وصولاً الى الفيتو المضاعف دعماً للحليف السوري، الى ملف إيران النووي وقوفاً عند صواريخه الأخيرة، كلّ هذا كان رسماً واقعياً، له مؤسساته وراسمو أبعاده. فالصوت الاستراتيجي للقيادة السورية منذ إعلان نظرية البحار الخمسة والتحالف المقاوم وصولاً الى كلام الرئيس الأسد عن ضرورة تعزيز التواجد العسكري الروسي في شواطئ المتوسط السورية، كل هذه الأبعاد وما تبعها من مقرّرات شنغهاي وخط السيل الروسي الذي لربما رسمت خطوطه الصواريخ الروسية العابرة للبحار وربما للمحيطات.

كلّ هذه المؤشرات الواقعية الروسية والتي فاجأت في مداها وخطوطها الغرب خصوصاً الذي كان أمام الخنوع الاميركي الغير مسبوق والذي لم يكن يتوقع مدى الصراحة الروسية في دعم القيادة والجيش السوري. فالغرب المثقل بالوعود الاميركية والتي صدقت كذب الوعيد المتبدّل بأسرع من واقع البراغماتية الاميركية، والتي حتى ساستها لربما وقعوا في فخ التناقض او تصيّد ما يُسمّى تنظيم «داعش» الارهابي والذي ينمو على الإنعاش الاميركي تارة بالخطأ ومرة بالإصابة، ظنوا أنّ البدع الإعلامية والخرف الوهابي ومالهم الحاقد سيغيّب الأقمار الروسية عن الحقائق، والتي سيكون وقعها أكبر من «ويكيليكس»، نعم ويكيلكس روسية ستقلب الطاولة وستعيد الميزان الى المربع الدولي، كلّ هذا وما خلفته البدع الغربية من مجموعات ارهابية ما يسمى معتدلة واخرى منغمسة وإسقاطاتها الفاشلة.

كلّ هذه الديباجات كانت تحت واقع الرصد الروسي، وهذا ما تؤكده دقة الأهداف التي رسمت والتي تصوّب والتي تنفذ من خلف البحار. فالغرب والاميركي ضمناً ذهل لأبعاد التدخل الروسي، وفشل هذا الغرب الذريع في خلق رادع او مبرّر لرفض التدخل لن يجد ايّ آذان تصغي، فطيرانه يخرق خارج القانون الدولي، وارهابه يعيث قتلاً في الارض السورية، فجميع الاوراق التي بات يمسك بها القيصر الروسي تجعله لا يأبه لحربهم الإعلامية الوهمية كـ«جيشهم الحرّ» الفاشل على الأرض الذي بات اشدّ إرهاباً.

هذه الاوراق التي تملك دقة التحرك والتنسيق في أكبر الغرف الاستخبارية، الروسية والايرانية والسورية والعراقية. فمشوار الصواريخ الجديدة تحت قاعدة الكماشة الروسية الجديدة التي صنعت مساراً كاسراً لجدار الصمت التاريخي الوهمي الذي تكاسل الغرب في دعمه واقعياً، لتأتي صواريخ بحر قزوين تكسر القواعد التي رسمتها آخر الحروب العالمية ظناً منهم انّ الانكفاء الروسي طغى للأبد.

فالروسي لم يعد يحتاج الأجواء التركية او البلغارية وغيرها، فنظرية البحار قائمة والحليف الصيني يحمي الظهر اقتصادياً والايراني يفتح المجال لأقوى ترسانات التسلح الروسي العسكرية وربما الاقتصادية عبر خط سيل قد يصل الى المتوسط عبر سورية، والأحلام الغربية ستسقط والأميركية ربما تحصل كعادتها على صكوك براءة لها تدعم تحصل على زاوية في مائدة الكبار الجدد، ليخرج الحلف المقاوم ومن خلفه الداعم الروسي الصيني ليرسم واقعاً موجوداً يجسّد قوة قد تكتب ولادة واقع لا أبعاد لحدود بحاره قد تصل الى مصر، ولا ندري الاستراتيجيات الروسية ودقة اصاباتها إلى أين تصل... الى اين واين...؟